الجوانب الموضوعية والفنية
في
قصة "اليمامتان" للرافعى

تحليل ونقد

إعداد

أ.د/ حسن عطية أحمد طاحون

الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد بالكلية

الجوانب الموضوعية والفنية فى قصة "اليمامتان" للرافعى تحليل ونقد

إعداد

أ.د/ حسن عطية أحمد طاحون

الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد بالكلية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلى وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

وبعد ...

فقد جذبتنى قصة "اليمامتان"، وأنا أقرؤها فى الجزء الأول من "وحى القلم" للأديب اللامع "مصطفى صادق الرافعى" يرحمه الله؛ فأعجبت بترتيبه لها، وتعمقه فيها، وحسن عرضها، وتنسيق أحداثها وشخصياتها، وغيرته على فاتحى "مصر" الذين اتهموا – جورا – بسلب ونهب وتخريب البلاد التى فتحوها، فأردت أن أعيش بين سطورها، وأنقل ما فيها من أحداث وصراع بين شخصياتها، وعزمت على تحليلها موضوعيا وفنيا، وهذه محاولة منى لإماطة بعض الغبار عن تراثنا الأصيل المتجدد.

والرافعى من رواد الشعر والنثر الفنى الراقى فى عصرنا الحديث، وله باع فى فن القصة. وهى عنده تتمثل فى نوعين: الأول: مستمد من التراث العربى كقصة هذا البحث . والثانى: مستمد من واقع الحياة الاجتماعية المصرية فى العصر الحاضر. وهو فى كل ما يكتب كالطبيب الحاذق الذى يشخص الداء، ويتأنى فى وضع الدواء بوسائله اللغوية التى تزيد الجمال جمالا، والحسن حسنا، وتشد القارئ إليه شدا.

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين .

وفى المقدمة أوضحت سبب اختيارى لهذا الموضوع، وهو رغبتى فى إزاحة الغبار عن شئ من إبداع "الرافعى" الذى يوصف بغيرته الشديدة على اللغة والدين، فأردت أن أكشف عن شئ من جماله البياتى أثناء عرضه لأحداث وشخصيات هذه القصة.

وفى التمهيد أوجزت القول حول نشأة الكاتب ومكانته الأدبية، وفتح مصر الذى ارتبطت به أحداث القصة.

وفى الفصل الأول: عرضت لمضمون قصة "اليمامتان" وبيان نوعها، والأماكن، والشخصيات التى وردت فيها .

وفى الفصل الثانى: تحدثت عن النواحى الفنية المتعلقة بالأسلوب، والأحداث، وأدوار البطولة، والأدوار الثانوية، والعقدة والحل فى القصة، ثم أعقبت ذلك بالنتائج المستخلصة من القصة، وقد ركز الكاتب على ثلاث قيم أصيلة هى: الحب والطبيعة والحياة. وقد عنى الفاتحون بذلك؛ لأنهم يقومون بالإعمار الروحى والمادى، فلا تقطع شجرة، ولا يعتدى على شيخ أو امرأة، أو طفل، ولا يكره أحد على اعتناق عقيدة ما ، ثم ذكرت ثبتا بالمصادر والمراجع.

"وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب"

بقلم

أ.د/ حسن عطية أحمد طاحون

الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد

ـ بكلية اللغة العربية بالزقازيق

تمهيد
نشأة الرافعى ومكانته الأدبية

ولد مصطفى صادق الرافعى، ابن الشيخ عبدالرازق ابن سعيد ابن أحمد بن عبدالقادر، فى منزل والد أمه بقرية "بهتيم" بمحافظة القليوبية سنة ١٨٨٠م، وتنقل مع أبيه والأسرة تبعا لوظيفة والده[١].

وكان الرافعى قبل سنة ١٨٩٢م يأخذ عن والده تعليمه فى الإملاء، والإنشاء، وحفظ القرآن، ثم أدخل المدرسة الابتدائية فى "دمنهور" ولم يمكث بها عاما حتى انتقل إلى المدرسة الأميرية بالمنصورة، حيث عين والده قاضيا فى محكمتها.

وفى عام ١٨٩٧م نال الشهادة الابتدائية بتفوق وعنده حصيلة لا بأس بها من اللغة الفرنسية، ومنذ ذلك الوقت اتجه اتجاها آخر أكثر ملاءمة له وأرضى لميوله المتفتحة للإطلاع والمعرفة، وكان قد أصيب بمرض (التيفونيد) آنذاك، واشتد عليه حتى لقد أثر على أعصابه، فنال من صوته وأذنيه، ثم تحسنت الأوتار الصوتية ، ولكن وقر الأذنين ظل يتضاعف حتى ذهب بسمعه وهو على أعقاب العقد الثالث من عمره الخصيب[٢].

وكان الرافعى قد انصرف بكل فكره، ومشاعره إلى التزود من مدرسته الخاصة التى كونها لنفسه مع أساتذته الأعلام فى مكتبة أبيه العامرة، ثم فى مكتبته هو ــ فيما بعد ــ ومن الطبيعى أن تكون عند والد العالم الجليل مكتبة ضخمة تحوى كثيرا من العلوم الفقهية. والدينية والأدبية، ويجد فيها ابنه الشاب الواعى، طلبه، فيصيب

---

(١) الأعلام للزركلى جـ٤ صـ٤٠ ط دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٨٠م بإيجاز.

(٢) الرافعى ومى صـ٨ بتصرف، عبدالسلام هاشم حافظ ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى . ب.ت.

الكثير من منهل العلم الصافى، ومن معين المعرفة، ويقبل على دراسته المتصلة بطبعه الذى نشأ عليه من التهذيب النفسى، وتقديسه لأمور الإسلام. وإذا كان الرافعى قد خسر شيئا من فقد سمعه، فلقد ربح الكثير ، ولكن ليس لذاته هو، وإنما للفن والأدب والمجتمع، ويقول فى هذا:

"إذا كان الناس يعجزهم أن يسمعونى فليسمعوا منى"[1]، فى هذا الجو الهادئ كانت نشأة (الرافعى)، حتى تكون أدبه، واستقبل حياته، وودعها بوفاته عام ١٩٣٧م عن سبع وخمسين سنة ــ يرحمه الله تعالى ــ.

(١) السابق صـ٩ .

مكانته الأدبية

"كان الرافعى كاتبا أصيلا، يمثل تيار المحافظة على الإسلام، والعروبة والتقاليد الشرقية وكان يقول عن نفسه: "يخيل إلى دائما أنى رسول لغوى للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه" ودخل من أجل ذلك معارك عنيفة مع أنصار التجديد .." (١).

وكان الرافعى متوازنا أمام الفنون الأدبية فلم يشأ أن يكون عبدا لواحد منها، وقد اهتم بالشعر والنثر على السواء(٢)، فمن شعره فى الخليفة (عمر بن الخطاب) :

لا زينة المال تعليه ولا المال ∴ ولا يشرفه عم ولا خال
وإنما يتسامى للعلا رجل ∴ ماضى العزيمة لا تثنيه أهوال

ويقول فى مدح الشاعر محمود سامى البارودى:

أمسيت من آماله فى ليلة ∴ ضل الصباح بها طريق المطلع
عرفوا به شعر الفحول وأهله ∴ وسجية المطبوع والمتطبع
لم أتل يوما آية من آيه ∴ إلا حسبت الكون يتلوها معى

ويقول عن ضرورة الحب بين الزوجين:

أسس على الحب لا تلق القلوب سدى ∴ وضع لكل فؤاد شكله الثانى
فلست تبنى سوى دار إذا خربت ∴ أركانها خربت من كل عمران(٣)

لقد تنوع إبداع الرافعى، وتعدد إلى الشعر، والمقالات. والرسائل الأدبية، والبلاغة النبوية، والبلاغة القرآنية، والقصص وتنقسم عنده إلى قسمين(٤):

---

(١) معالم الثقافة الإسلامية صـ٤٥٩ بإيجاز د/ عبدالكريم عثمان ط.مؤسسة الرسالة بيروت سنة ١٩٨٥م الطبعة الثانية .

(٢) مصطفى صدق الرافعى أديبا إسلاميا صـ٤٠ ـ ٤٣ بتصرف د/إبراهيم عوضين .

(٣) الرافعى ومى صـ٢٥ ، ٢٩، ٧٥ .

(٤) مجلة رابطة الأدب الإسلامى العالمية العددان ٤٣، ٤٤ صـ١٤٦، ١٤٧ أ/ شمس الدين درمش ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١ - قصص مستوحاة من التراث العربى الإسلامى.

٢ - قصص مستوحاة من الواقع الاجتماعى المصرى المعاصر.

فمن القصص التراثية ذات الحلقة الواحدة قصة (اليمامتان)[١]، وهى تحكى صورا من السماحة فى الفتوحات الإسلامية لمصر على يدى (عمرو بن العاص) وجنوده الشجعان، الذين تخلقوا بأخلاق الإسلام وأدبه فى التعامل.

هذا. وتقع قصة (اليمامتان) للرافعى فى إحدى عشرة صفحة من القطع المتوسط، فى الجزء الأول من (وحى القلم)، وعدد كلماتها (٢٧٠٠) ألفان وسبعمائة كلمة تقريبا، وفيها مقومات القصة القصيرة من حيث الأحداث، والأشخاص، والأساليب، والعقد، والحلول.

وقمت بإحصاء كلماتها ؛ لأن بعض الباحثين يقول عن حجم القصة القصيرة: "وقد قيست زمنيا بأنها تقرأ فى وقت لا يقل عن ربع الساعة ولا يجاوز الساعتين، وقيست طوليا بعدد كلماتها بين (١٥٠٠) ألف وخمسمائة إلى (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف كلمة"[٢].

(١) وهى موضوع هذا البحث، وتدور حولها الدراسة بإذن الله.

(٢) قضايا النقد الأدبى الحديث صـ١٦٧ د/ محمد السعدى فرهود ط:دار الطباعة المحمدية ط الثانية سنة ١٩٧٩م.

الفصل الأول
عرض لمضمون قصة (اليمامتان)

أولا: نوع القصة وزمانها:

هى قصة تاريخية حدثت فى مصر سنة ٢٠هـ حينما قدم "عمرو بن العاص" إلى مصر لفتحها حيث طلب من أمير المؤمنين "عمر بن الخطاب" هذا المطلب بعد انتهائه من فتح بلاد الشام وفلسطين، فوافق أمير المؤمنين، فدعا "عمرو" أهل مصر إلى الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وأمهلهم ثلاثة أيام، فطلبوا منه أن يزيد المدة، فزادها لهم يوما واحدا ثم لشب القتال فهزم جيش الروم فى مصر ...

ثم أرسل "عمرو" جيشا إلى الإسكندرية، حيث يقيم "المقوقس" وحاصر الجيش تلك المدينة، واضطر "المقوقس" إلى أن يصالح المسلمين على أداء الجزية، واستخلف "عمرو" عليها [عبدالله بن حذافة] وأنشئت مدينة "الفسطاط" مكان خيمة "عمرو بن العاص" حيث بنى المسجد الذى ينسب إليه الآن، وأقيمت البيوت حوله[1].

ثانيا: الأماكن التى وردت فيها:

بلدة [قيسارية] بفلسطين ٠

مدينة [بلبيس] بمحافظة الشرقية فى مصر ٠

منف: وهو المكان الذى أقام فيه (المقوقس) بعض الوقت، فى مصر أيضا ٠

الإسكندرية: مدينة فى مصر اتجه إليها (عمرو) لفتحها، وإقامة صلح مع الروم فيها ٠

أنصنا: بلدة فى صعيد مصر تعرف الآن بـ[إسنا]٠

---

(١) التاريخ الإسلامى صـ١٦٧، ١٦٨ أ/محمود شاكر ط السابعة ـ المكتب الإسلامى ـ بيروت سنة ١٩٩١م٠

ثالثا: الشخصيات التى وردت فى القصة:

الراوى: وهو الرافعى نفسه .

المقوقس: عظيم القبط فى مصر .

أرمانوسة: ابنة المقوقس، وكانت مجهزة لزفافها فى ذلك الوقت .

مارية: وصيفة أرمانوسة وملازمة لها .

قسطنطين: ابن عظيم الروم (هرقل) وكانت أرمانوسة ستزف إليه .

قيس السهمى: وهو الذى قام بمرافقة (أرمانوسة) كى تصل إلى أبيها آمنة، وهذا عمل إنسانى قام به (عمرو) والفاتحون ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

شطا : راهب يسير فى موكب (أرمانوسة) .

وردان: مترجم (عمرو بن العاص) .

رابعا: أسلوب القصة:

تقدم القصة إلى المتلقى بثلاث طرق أسلوبية: أ - الحوار وهو الغالب . ب - السرد . جـ - الوصف .

خامسا: أحداث القصة:

بدأت أحداث القصة بعقدة تمس القلوب، وقلبى عروسين تأهبا للزواج، ووالدين يريدان السعادة لهذين النبضين النابعين منهما، ولكنهما يدبان فى (أرمانوسة) و(قسطنطين)، وفجأة وفى خضم هذا السرور، يأتى الفتح الإسلامى "وجاء (عمرو بن العاص) إلى [بلبيس] فحاصرها حصارا شديدا، وقاتل من بها، وقتل منهم زهاء ألف فارس..." [1] وفر من فر من الجنود، وأسر من أسر .

(١) وحى القلم جـ١ صـ١٨ ط بيروت سنة ١٩٠٣م .

فى هذا الوقت، وفى ذلك المكان، فى (بلبيس) كانت (أرماتوسة) كائنة بحشمها، ومالها؛ حيث كانت متجهة إلى (قيسارية) بفلسطين، عن طريق البر، لتكتمل البهجة، ويتغذى الحب الذى نشأ بينها وبين الزوج المنتظر.

وهنا تغيرت الأحوال وتعثرت الأفعال، وتعرقلت الآمال؛ لأنهم حيل بينهم وبين ما يشتهون، فماذا يفعل البطل الإنسان [عمرو بن العاص؟

إنه أراد أن يقدم انفراجة للموقف وحلا لهذه العقدة؛ لكى يدخل السرور مرة أخرى على قلبى العروسين وأرحامهما على أضيق تقدير: "فسير إلى المقوقس ابنته مكرمة فى جميع مالها، مع [قيس ابن أبىالعاص السهمى] فسر بقدومها"[1].

مغزى هذا الموقف من عمرو بن العاص:

أراد عمرو أن يرسل رسالة عملية إلى العالم، جوهرها يؤكد أن "الإسلام دين سلام للبشرية يريد أن ترفرف عليها ألوية الأمن والطمأنينة، ومن تتمة ذلك ما وضعه من قوانين فى معاملة الأمم المغلوبة سلما وحربا، فقد أوجب الرسول ــ ﷺ ــ على المسلمين فى حروبهم أن لا يقتلوا شيخا، ولا طفلا، ولا امرأة..." [2].

لقطة تربوية للمقوقس وابنته:

حيث نراه يختار لها من ترافقها؛ فهى (مارية) التى ستؤثر فيها تأثيرا بالغا، "وكانت مسيحية قوية الدين والعقل اتخذها (المقوقس) كنيسة حية لابنته"[3] كما يقول الرافعى.

---

(١) وحى القلم صـ١٨ .

(٢) العصر الإسلامى صـ٢٤ د/ شوقى ضيف ط دار المعارف . العاشرة سنة ١٩٨٦م.

(٣) وحى القلم صـ١٨ .

والأب بهذا الاختيار سبق الكثيرين من علماء التربية، الذين يستنهضون الهمم للعناية بمن يرافقون فلذات أكبادهم، ويذكرنا هذا المشهد بالخلفاء الأمويين والعباسيين الذين أصلوا قاعدة: [مؤدبى الصبيان ، فأنجبوا خلفاء مؤثرين كأبناء عبدالملك بن مروان، وهارون الرشيد وغيرهما ..

نقد الكاتب بخصوص (مارية) :

إننا إذ نقدر الدور الروحى المؤثر الذى قامت به (مارية) تجاد (أرمانوسة) وموقفها، وصداقتها المخلصة لها فى وقت الشدة، إلا أننى لا أوافق الكاتب على هذا الاستطراد الجانبى فى الحديث عن جمالها، وتأثير (مصر) فيها حيث يقول:

"كانت لأرمانوسة، وصيفة مولدة تسمى (مارية)، ذات جمال يونانى أتمته مصر، ومسحته بسحرها، فزاد جمالها على أن يكون مصريا، ونقص الجمال اليونانى أن يكونه، فهو أجمل منهما. ولمصر طبيعة خاصة فى الحسن، فهى قد تهمل شيئا فى جمال نسائها أو تشعث منه، وقد لا توفيه جهد محاسنها الرائعة، ولكن متى نشأ فيها جمال ينزع إلى أصل أجنبى أفرغت فيه سحرها إفراغا، وأبت إلا أن تكون الغالبة عليه، وجعلته آيتها فى المقابلة بينه فى طابعه المصرى، وبين أصله فى طبيعة أرضه كائنة ما كانت، تغار على سحرها أن يكون إلا الأعلى.." (١).

وأقول: كم من نساء جميلات، سواء أكن مصريات أم يونانيات، وأفعالهن لا ترتقى إلى الجمال المنشود الذى يكتب له الخلود والسمو. فهذا الإسهاب يعد هامشيا لا يخدم القصة أو الحدث ــ بصفة خاصة ــ من قريب أو بعيد، "فلا حاجة ــ إذن ــ لأن يسترسل القاص، ولا لأن يحرص على عرض التفصيلات والجزئيات"(٢).

---

(١) وحى القلم صـ١٨٠ .

(٢) قضايا النقد الأدبى الحديث صـ١٧٣ د/محمد السعدى فرهود ط.الثانية دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٩م.

أوهام وشائعات عن جيوش الفتح:

"ولما نزل عمرو بجيشه على بلبيس جزعت مارية جزعا شديدا، إذ كان الروم قد أرجفوا أن هؤلاء العرب قوم جياع ينفضهم الجدب على البلاد نفض الرمال على الأعين فى الريح العاصف، وأنهم جراد إتساتى لا يغزو إلا لبطنه، وأنهم غلاظ الأكباد كالإبل التى يمتطونها، وأن النساء عندهم كالدواب يرتبطن على خسف، وأنهم لا عهد لهم ولا وفاء، ثقلت مطامعهم، وخفت أمانتهم، وأن قائدهم (عمرو) كان جزارا فى الجاهلية، فما تدعه روح الجزار ولا طبيعته وقد جاء بأربعة آلاف سالخ من أخلاط الناس وشذاذهم، لا أربعة آلاف مقاتل من جيش له نظام الجيش..." (١).

تفصيل عقدة أرمانوسة:

ما سبق من أهوال عن جيوش الفتح له صلة بعقدة العروس؛ لأنها مكثت شهرا قبل عودتها لأبيها، ومعها (مارية) التى أخذت تلك الإدعاءات المكذوبة مأخذ الجد، فأصبحت توسوس بها فى أذن (أرمانوسة) وتقول: "جاءك أربعة آلاف جزار أيتها الشاة المسكينة ستذوق كل شعرة منك ألم الذبح قبل أن تذبحى! جاءك أربعة آلاف خاطف أيتها العذراء المسكينة! ستموتين أربعة آلاف ميتة قبل الموت!! قونى يا إلهى؛ لأغمد فى صدرى سكينا يردعنى الجزارين! يا إلهى قو هذه العذراء، لتتزوج الموت قبل أن يتزوجها العربى(٢)!!

هذا هو الصراع الذى يدور فى نفس (أرمانوسة)، فهى بين مخافتين هل تنجو من القتل؟ وهل سيتم زفافها؟ ويزداد هذا الصراع الداخلى بتلك العبارات الملتهبة التى سكبتها (مارية) على ذلك الجرح الدفين، حينما صورت جنود الفتح بأنهم جزارون! وخاطفون! وأن العروس ستموت أربعة آلاف ميتة!

---

(١) وحى القلم صـ١٩ .
(٢) السابق صـ١٩، ٢٠ .

خروج (أرمانوسة) من صراعها النفسى:

ويدهش القارئ من تماسك أرمانوسة وقوة نفسها، حيث تدفع تلك الهواجس وترد على (مارية): "... أنت واهمة يا مارية أنسيت أن أبى[1] قد أهدى على نبيهم بنت[2] (أنصنا)، فكانت عنده فى مملكة بعضها السماء وبعضها القلب!؟ لقد أخبرنى أبى أنه بعث بها لتكشف له عن حقيقة هذا الدين، وحقيقة هذا النبى، وأنها أنفذت إليه دسيسا يعلمه أن هؤلاء المسلمين هم العقل الجديد الذى سيضع فى العالم تمييزد بين الحق والباطل. وأن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها، وأنهم جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله لا من حدود أنفسهم وشهواتها. وإذا سلوا السيف سلود بقانون، وإذا أغمدود أغمدود بقانون.

وقالت عن النساء: لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى، فإنهم جميعا فى واجبات القلب وواجبات العقل، ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم ــ يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بخلافته.

وقال أبى: إنهم لا يغيرون على الأمم، ولا يحاربونها حرب الملك، وإنما تلك طبيعة الحركة للشريعة الجديدة. تتقدم فى الدنيا حاملة السلاح والأخلاق، قوية فى ظاهرها وباطنها، فمن وراء أسلحتهم أخلاقهم. وبذلك تكون أسلحتهم نفسها ذات أخلاق!!!

وقال أبى: إن هذا الدين سيندفع بأخلاقه فى العالم اندفاع العصارة الحية فى الشجرة الجرداء. طبيعة تعمل فى طبيعة. فليس يمضى غير بعيد حتى تخضر الدنيا وترمى ظلالها، وهو بذلك فوق السياسات التى تشبه فى عملها الظاهر الملفق ما يعد كطلاء الشجرة

---

(١) تشير إلى المقوقس عظيم الروم فى مصر.

(٢) هى مارية القبطية التى أهداها المقوقس إلى النبى ﷺ، وكانت من صعيد مصر.

الميتة الجرداء بلون أخضر... شتان بين عمل وعمل، وإن كان لونا يشبه لونا...!!

فاستروحت (مارية) واطمأنت باطمئنان (أرماتوسة)، وقالت: فلا ضير علينا إذا فتحوا البلد ... ولا يكون ما نستضربه!!

قالت أرماتوسة: لا ضير يا مارية، ولا يكون إلا ما نحب لأنفسنا، فالمسلمون ليسوا كهؤلاء العلوج[1] من الروم، يفهمون متاع الدنيا بفكرة الحرص عليه، والحاجة إلى حلاله وحرامه، فهم القساة الغلاظ المستكلبون كالبهائم، ولكنهم[2] يفهمون متاع الدنيا بفكرة الاستغناء عنه والتمييز بين حلاله، وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء..

وتقسم مارية فى حوارها: وأبيك يا أرماتوسة، إن هذا لعجيب!!

فقد مات سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وغيرهم من الفلاسفة والحكماء وما استطاعوا أن يؤدبوا بحكمتهم وفلسفتهم إلا الكتب التى كتبوها!!! فلم يخرجوا للدنيا جماعة تامة الإنسانية فضلا عن أمة كما وصفت أنت من أمر المسلمين ...

فكيف استطاع نبيهم أن يخرج هذه الأمة، وهم يقولون إنه كان أميا؟ أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة وأهل السياسة والتدبير: فتدعهم يعملون عبثا أو كالعبث، ثم تستسلم للرجل الأمى الذى لم يكتب ولم يقرأ ولم يدرس ولم يتعلم؟

قالت أرماتوسة: إن العلماء بهيئة السماء بأجرامها وحساب أفلاكها، ليسوا هم الذين يشقون الفجر ويطلعون الشمس، وأنا أرى أنه لابد من أمة طبيعية بفطرتها يكون عملها فى الحياة: إيجاد الأفكار

---

(١) العلوج: جمع علج بوزن : عجل، ويراد به الواحد من كفار العجم [مختار الصحاح صـ٢١٦] للإمام الرازى ط. بيروت الثانية سنة ١٩٩٦م.

(٢) أى الفاتحون المسلمون.

العملية الصحيحة التى يسير بها العالم، وقد درست المسيح وعمله وزمنه، فكان طيلة عمره يحاول أن يوجد هذه الأمة، غير أنه أوجدها مصغرة فى نفسه وحوارييه، وكان عمله كالبدء فى تحقيق الشئ العسير، حسبه أن يثبت معنى الإمكان فيه.

وظهور الحقيقة من هذا الرجل الأمى هو تنبيه الحقيقة إلى نفسها! وبرهانها القاطع أنها بذلك فى مظهرها الإلهى ...

والعجيب يا مارية، أن هذا النبى قد خذله قومه، وناكروه وأجمعوا على خلافه، فكان فى ذلك كالمسيح، غير أن المسيح انتهى عند ذلك .

فروق بين ما جاء به المسيح والنبى الأمى محمد:

إن أرمانوسة كانت على دين المسيح ــ عليه السلام ــ وعلمت ما جاء به النبى الأمى ــ عليه الصلاة والسلام ــ فجمعت بين المحاسن والفضائل، وتحكى هى عن أهم الفروق بين الرسولين:

١ - إن المسيح انتهى أمره، ومعه الحواريون، أما هذا[1]، فقد ثبت ثبات الواقع حين يقع . لا يرتد ولا يتغير، وهاجر من بلده. فكان ذلك أول خطا الحقيقة التى أعلنت أنها ستمشى فى الدنيا!!! وقد أخذت من يومئذ تمشى، ولو كانت حقيقة المسيح قد جاءت للدنيا كلها لما جرت به كذلك .

٢ - إن المسيح لم يأت إلا بعبادة واحدة هى عبادة القلب، أما هذا الدين، فعلمت من أبى أنه ثلاث عبادات، يشد بعضها بعضا:

إحداها للأعضاء .

والثانية للقلب .

والثالثة للنفس .

فعبادة الأعضاء : طهارتها واعتيادها الضبط .

---

(١) إشارة إلى النبى محمد ﷺ .

وعبادة القلب : طهارته وحبه الخير .

وعبادة النفس: طهارتها وبذلها فى سبيل الإنسانية .

وعند أبى أنهم بهذه الأخيرة سيملكون الدنيا، فلن تقهر أمة عقيدتها أن الموت أوسع الجانبين وأسعدهما .

٣ - إن المسيح يبنى أمة مصغرة فيه وفى الحواريين، وهذا النبى يبنى العالم كله .

قالت مارية: إن هذا ــ والله ــ لسر إلهى يدل على نفسه، فمن طبيعة الإنسان ألا تنبعث نفسه غير مبالية الحياة والموت إلا فى أحوال قليلة؛ تكون طبيعة الإنسان فيها عمياء: كالغضب الأعمى، والحب الأعمى، والتكبر الأعمى، فإذا كانت الأمة الإسلامية كما قلت منبعثة هذا الانبعاث، ليس فيها إلا الشعور بذاتيتها العالية. فما[1] بعد ذلك دليل على أن هذا الدين هو شعور الإنسان بسمو ذاتيته. وهذه هى نهاية النهايات فى الفلسفة والحكمة .

قالت أرمانوسة: وما بعد ذلك دليل على أنك تتهيئين أن تكونى مسلمة يا مارية !!

فاستضحكتا معا وقالت مارية: إنما ألقيت كلاما جاريتك فيه فحسب، فأنا وأنت فكرتان لا مسلمتان ...." [2].

أرمانوسة ومارية تتفقان أثناء الحصار على الآتى:

١ - المسيح بدء وللبدء تكملة ما من ذلك بد .

٢ - لا تكون خدمة الإنسانية إلا بذات عالية لا تبالى غير سموها .

٣ - الأمة التى تبذل كل شئ وتستمسك بالحياة جبنا وحرصا لا تأخذ شيئا، والتى تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شئ[3] .

---

(١) (ما) هنا اسم موصول بمعنى الذى .

(٢) وحى القلم صـ٢١، ٢٢ .

(٣) السابق صـ٢٣ .

عودة أرمانوسة إلى أبيها بعد الحصار:

إن الحصار قد استمر شهرا فى (بلبيس)، وفى هذه المدة حدث ما حدث من هواجس، وخطوب واستقر رأى (عمرو) على أن يرسل العروس (أرمانوسة) إلى أبيها، ولكنه يرسل مع ركبها (قيسا السهمى) حتى لا تتعرض لسوء أو أذى ... فماذا حدث فى الطريق؟ يجيب الراوى فيقول[1]:

"... فلما كانوا فى الطريق وجبت (صلاة) الظهر، فنزل (قيس) يصلى بمن معه والفتاتان تنظران، فلما صاحوا: [الله أكبر!] ارتعش قلب (مارية)، وسألت الراهب (شطا) [2]: ماذا يقولون؟

قال: إن هذه كلمة يدخلون بها صلاتهم، كأنما يخاطبون بها الزمن أنهم الساعة فى وقت ليس منه ولا من دنياهم، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود؛ فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت ، ونزاع الوقت ، وشهوات الوقت ، فذلك هو دخولهم فى الصلاة، كأنهم يمحون الدنيا من النفس ساعة أو بعض ساعة، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها.

انظرى، ألا ترين هذه الكلمة قد سحرتهم سحرا فهم لا يلتفتون فى صلاتهم إلى شئ، وقد شملتهم السكينة ورجعوا غير ما كانوا، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة فى تأملهم؟

قالت (مارية): ما أجمل هذه الفطرة الفلسفية[3]! لقد تعبت الكتب لتجعل أهل الدنيا يستقرون ساعة فى سكينة الله عليهم فما أفلحت، وجاءت الكنيسة فهولت على المصلين بالزخارف والصور

---

(١) وحى القلم صـ ٢٤ .

(٢) الراهب شطا يسير مع ركب أرمانوسة .

(٣) وصف الفطرة بأنها فلسفية وصف غير دقيق؛ لأن الفطرة تعنى: النسجية والشمائل التى تصدر عن النفوس النسوية بلا تكلف أو تصنع أو تفلسف .

والتماثيل والألوان؛ لتوحى إلى نفوسهم ضربا من الشعور بسكينة الجمال وتقديس المعنى الدينى، وهى بذلك تحتال فى نقلهم من جوهم إلى جوها، فكانت كساقى الخمر، إن لم يعطك الخمر عجز عن إعطائك النشوة. ومن ذا الذى يستطيع أن يحمل معه كنيسة على جواد أو حمار؟

قالت (أرمانوسة) : نعم إن الكنيسة كالحديقة، هى حديقة فى مكانها وقلما توحى شيئا إلا فى موضعها، فالكنيسة هى الجدران الأربعة، أما هؤلاء فمعبدهم بين جهات الأرض الأربع!!

قال الراهب (شطا): ولكن هؤلاء المسلمين متى فتحت عليهم الدنيا وافتتنوا بها، وانغمسوا فيها ، فستكون هذه الصلاة بعينها ليس فيها صلاة يومئذ .

قالت مارية: وهل تفتح عليهم الدنيا، وهل لهم قواد كثيرون كعمرو؟

قال:كيف لا تفتح الدنيا على قوم لا يحاربون الأمم بل يحاربون ما فيها من الظلم والكفر والرذيلة، وهم خارجون من الصحراء بطبيعة قوية كطبيعة الموج فى المد المرتفع، ليس فى داخلها إلا أنفس مندفعة إلى الخارج عنها، ثم يقاتلون بهذه الطبيعة أمما ليس فى الداخل منها إلا النفوس المستعدة أن تهرب إلى الداخل..!!؟

قالت مارية: والله لكأننا ثلاثتنا على دين عمرو ...!

وانفتل (قيس) من الصلاة، وأقبل يترحل، فلما حاذى (مارية) كان عندها كأنما سافر ورجع، وكانت ما تزال فى أحلام قلبها؛ وكانت من الحلم فى عالم أخذ يتلاشى إلا من (عمرو) وما يتصل (بعمرو) .

وفى هذه الحياة أحوال [ثلاث] يغيب فيها الكون بحقائقه: فيغيب عن السكران والمخبول، والنائم، وفيها حالة [رابعة] يتلاشى فيها الكون إلا من حقيقة واحدة تتمثل فى إنسان "محبوب" .

وقالت (مارية) للراهب (شطا) : سله: ما أربهم من هذه الحرب، وهل فى سياستهم أن يكون القائد الذى يفتح بلدا حاكما على هذا البلد...؟

قال (قيس) : حسبك أن تعلمى أن الرجل المسلم ليس إلا رجلا عاملا فى تحقيق كلمة الله، أما حظ نفسه فهو فى غير هذه الدنيا...!!

.... وبهذا تكون النفس أكبر من غرائزها، وتنقلب معها الدنيا برعونتها وحماقاتها، وشهواتها كالطفل بين يدى رجل، فيهما قوة ضبطه وتصريفه، ولو كان فى عقيدتنا أن ثواب أعمالنا فى الدنيا لانعكس الأمر .

قالت (مارية): فسله: كيف يصنع (عمرو) بهذه القلة التى معه، والروم لا يحصى عددهم[1]، فإذا أخفق (عمرو) فمن عسى أن يستبدلوه منه؟ وهل هو أكبر قوادهم أو فيهم أكبر منه؟

قال الراوى: ولكن فرس (قيس) تمطر وأسرع فى لحاق الخيل على المقدمة، كأنه يقول: لسنا فى هذا ... [2] .

وفتحت مصر صلحا بين (عمرو) والقبط، وولى الروم مصعدين إلى الإسكندرية .

الحكمة من تدخل الراوى فى هذه الجزئية :

عندما قال على لسان (قيس) : "لسنا فى هذا ..." إنما يشير إلى أن الأحداث ستأخذ منعطفا جديدا؛ فكثرة الأسئلة على لسان (مارية) توحى بإعجابها الشديد بالفاتح القائد (عمرو) وقد فطن (قيس) إلى هذا؛ ولذا فقد ذكر جملته السابقة[3]، ومعناها: لم نأت

(١) ورد أن عدد الروم وقتئذ كان مائة ألف، وعدد الفاتحين أربعة آلاف .

(٢) وحى القلم صـ٢٦ .

(٣) "لسنا فى هذا" .

لهذا... ولم تتعلق عزائمنا بمثل هذا الاستسلام العاطفى. وأولى من هذا كله اللحاق بالجند لإتمام أمر الفتح.

الصراع العاطفى داخل (مارية) نحو الفاتح (عمرو):

يتجه الكاتب نحو عقدة جانبية نشأت فى قلب (مارية) تجاه (عمرو)، وهو لا يدرى عنها شيئا، فتطلعاتها بوصفها "أنثى" غير تطلعات قائد عسكرى محنك، وصحابى جليل يريد أن يشيع نور الإسلام فى تلك الاماكن المظلمة التى ضللها انحراف الأديان، واتباع الأهواء، وهذا لن يتحقق إلا من قائد معروف بالعزم، والإرادة القوية، وحسن التخطيط، والتعلق بمعالى الأمور، وهذه الصفات من مكونات شخصية (عمرو)، ولعلها السبب فى إعجاب الفتاة به. يقول فى توضيح هذا :

" ... وكانت (مارية) فى ذلك تستقرئ أخبار الفاتح، تطوف منها على أطلال من شخص بعيد، وكان (عمرو) من نفسها كالمملكة الحصينة من فاتح لا يملك إلا حبه أن يأخذها، وجعلت تذوى. وشحب لونها، وبدأت تنظر النظرة التائهة، وبان عليها أثر الروح الظمآى. وحاطها اليأس بجوه الذى يحرق الدم، وبدت مجروحة المعانى، إذ كان يتقاتل فى نفسها الشعوران العدوان: شعور أنها عاشقة، وشعور أنها يائسة !!!

ورقت لها (أرمانوسة)، وكانت هى أيضا تتطلق فتى رومانيا، فسهرتا ليلة تديران الرأى فى رسالة تحملها (مارية) من قبلها إلى (عمرو) كى تصل إليه ، فإذا وصلت بلغت بعينيها[1] رسالة نفسها..!!

---

(١) لأن لغة العيون هى لغة المحبين على حد قول الشاعر:
فالعين تخبر عن عينى محدثها ∴ إن كان من حزبها أو من أعاديها

واستقر الأمر أن تكون المسألة عن (مارية) القبطية، وخبرها، ونسلها، وما يتعلق بها ، مما يطول الإخبار به إذ السؤال من امرأة عن امرأة .

فلما أصبحت وصل إليها أن القائد قد سار إلى (الإسكندرية) لقتال الروم، وشاع الخبر أنه لما أمر بفسطاطه[1] أن يقوض أصابوا يمامة[2] قد باضت فى أعلاه، فأخبروه فقال: "قد تحرمت[3] فى جوارنا، أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها" فأقروه.

وتموت (مارية)، وقد حفظت عنها [أرمانوسة] ما أسمته نشيد اليمامة:

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها
تركها الأمير تصنع الحياة ! وذهب هو يصنع الموت!
هى كأسعد امرأة، ترى وتلمس أحلامها
إن سعادة المرأة أولها وآخرها بعض حقائق صغيرة كهذا البيض

* * *

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها
لو سئلت عن هذا البيض لقالت : هذا كنزى
هى كأهنأ امرأة ، ملكت ملكها من الحياة ولم تفتقر
هل أكلف الوجود شيئا كثيرا إذا كلفته رجلا واحدا أحبه

* * *

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها
الشمس والقمر والنجوم،كلها أصغر فى عينها من هذا البيض
هى كأرق امرأة، عرفت الرقة مرتين: فى الحب والولادة
هل أكلف الوجود شيئا كثيرا إذا أردت أن أكون كهذه اليمامة؟

* * *

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها
تقول اليمامة: إن الوجود يحب أن يرى بلونين فى عين الأنثى.

---

(١) الفسطاط: يراد به الخيمة التى ضربت لقائد الفتح (عمرو). وقد بنى مكانه جامع عمرو بن العاص فى مصر القديمة.
(٢) اليمامة: جنس طير من الفصيلة الحمامية، وهى الحمام البرى.
(٣) أى تعيش فى حرمنا آمنة، ويحرم إيذاؤها .

مرة حبيبا كبيرا فى رجلها، ومرة حبيبا صغيرا فى أولادها
كل شئ خاضع لقانونه، والأنثى لا تريد أن تخضع إلا لقانونها

* * *

أيتها اليمامة، لم تعرفى الأمير وترك لك فسطاطه!!
هكذا الحظ: عدل مضاعف فى ناحية،
وظلم مضاعف فى ناحية أخرى .
احمدى الله أيتها اليمامة، أن ليس عندكم لغات وأديان .
عندكم فقط: الحب والطبيعة والحياة .

* * *

على فسطاط الأمير يمامة جاثمة تحضن بيضها
يمامة سعيدة ، ستكون فى التاريخ كهدهد سليمان
نسب الهدهد إلى سليمان، وستنسب اليمامة إلى (عمرو)
واها لك يا عمرو! ما ضر لو عرفت (اليمامة الأخرى) [1]!!

(١) وحى القلم صـ٢٨ .

الفصل الثانى
التناول الفنى والنقدى للقصة

عرفنا أن قصة (اليمامتان) تندرج تحت القصص التاريخى الذى يوضح هوية الفاتحين، وأخلاقهم، وأهدافهم، وسلوكهم وتصرفاتهم مع أهل البلاد المفتوحة من أصحاب الديانات الأخرى.

والكاتب بمثل هذا القصص يصحح المفاهيم الخاطئة التى ما زالت تثار من حين لآخر حول كيفية انتشار الإسلام فى ربوع الأرض، وكأنه يرد على زعم المغرضين الذين يقولون: إن الإسلام انتشر بحد السيف ولكنه يرد بالدليل العملى على تلك الفرية، مؤكدا أنه انتشر بأخلاق وسماحة أتباعه، كما يقول الشيخ محمد الغزالى فى بعض مقالاته: [إن الإسلام انتصر على السيف] ، ويقول آخرون: إن الإسلام انتشر بقوة الدفع الذاتى؛ لأنه دين إنسانى، صالح لكل زمان ومكان، ويقيم التوازن بين الجانب الروحى والمادى فى البشر، والفرد والجماعة، ويضع الضوابط الأخلاقية للتعامل بين الخالق والمخلوق من جهة، وبين المخلوقين وبعضهم البعض من جهة أخرى.

أولا: عنوان القصة [اليمامتان] ودلالته الفنية:

أرى أن الكاتب وفق فى اختيار هذا العنوان لعدة أسباب:

أ - لأن (اليمامة) من جنس الحمام، وهى طيور أليفة، وصوتها يحن إليه الإنسان، ويرمز به للسلام فى عصرنا الحاضر، ولا يوجد إنسان سوى الفطرة إلا ويحب السلام النفسى، والاجتماعى، والسياسى، وهذا ملائم للحقبة التى عاشها الكاتب حيث كان الاحتلال البريطانى جاثما على صدر مصر وأهلها، ولا خلاص منه إلا بالتضحية التى يعقبها السلام .

ب - ولأن [اليمامتان] مثنى، ولا يتحقق السلام والمسالمة بفرد واحد، وكأنه يرمز إلى التعاون والصداقة والتعاضد لتحقيق ذلك الهدف النبيل.

جـ - ولأن (اليمامة) تسبح فى الفضاء تارة، وتهبط إلى الأرض تارة أخرى، وفى ذلك ما يشير إلى أنها تجمع بين ما هو سماوى (عالم القيم والروح) وما هو أرضى (عالم الماديات والمحسوسات) وهذا هو شأن الإسلام، والفاتحين الذين تتحدث عنهم القصة فهم من الأمة الوسط التى لا تعرف الغلو فى الرهبانية، ولا الإغراق فى المادية الموحشة التى تفقد الإنسان أهم معالم إنسانيته.

د - ولأن (اليمامة) تأخذ بالأسباب وتتحرك، وتسعى على صغارها، وتتآلف مع بنى جنسها، وإذا أردنا للإسلام الانتشار والرفعة فلابد من الأخذ بالأسباب وكذلك إذا أردنا التخلص من كل احتلال نفسى، أو أجنبى، أو التنحى عن كل عادة سلبية غير مرغوبة لابد فيها من مجاهدة وأخذ بأسباب التخلص من المساوئ والسلبيات.

وذكر (اليمامتان) فى القصة يزيدها قبولا وجمالا ويضفى عليها شيئا من الرومانسية، وقد جاء لفظ (الطير) فى حديث للنبى الكريم[1]، وهو يرشدنا إلى التعلم من مثل هذه الكائنات الباحثة عن رزقها، المتقنة لعملها.

---

(١) إشارة للحديث الشريف الذى يقول فيه - ﷺ - "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتروح بطانا" رواه الترمذى عن عمر - رضى الله عنه - [رياض الصالحين صـ٥٥] للإمام النووى. ط دار عالم الكتب بالرياض - الحادية عشرة سنة ١٩٨٩م.

ويؤكد بعض النقاد الناحية الدلالية لعنوان العمل الأدبى فيقول: "...إذن لابد للعنوان من إنتاجية دلالية قادرة على توريط[1] المتلقى فى عمله ... والعنوان مثل العمل الذى يعنونه، دون أدنى فارق، بل ربما كان العنوان أشد شاعرية، وجمالية من عمله فى بعض الإبداعات التى يتوقف المدخل النقدى إليها على بناء نصية العنوان أولا وقبل أى شئ آخر"[2].

ثانيا: الشخصيات والأحداث فى القصة:

لقد بدأت بتحليل العنوان، وذكر ما يدور حوله من دلالات موضوعية وفنية، وأثنى بذكر الشخصيات وما يدور على ألسنتهم من أحداث إذ لا يمكن الفصل بين الأمرين، فالأشخاص هم الذين يبرزون الوقائع ويجسمونها ويجعلونها حية متحركة أمام القارئ أو المستمع.

وهذا ما يؤكده أحد النقاد المعاصرين فيقول: "والأشخاص فى القصة مدار المعانى الإنسانية، ومحور الأفكار والآراء العامة ، ولهذه المعانى والأفكار المكانة الأولى فى القصة منذ انصرفت إلى دراسة الإنسان وقضاياه، إذ لا يسوق القاص أفكاره، وقضاياه العامة منفصلة عن محيطها الحيوى، بل ممثلة فى الأشخاص الذين يعيشون فى مجتمع ما، وإلا كانت مجرد دعاية، وفقدت بذلك أثرها الاجتماعى وقيمتها الفنية معا ، فلا مناص من أن تحيا الأفكار فى الأشخاص، وتحيا بها الأشخاص وسط مجموعة من القيم الإنسانية يظهر فيها الوعى الفردى متفاعلا مع الوعى العام، فى مظهر من مظاهر

(١) أى شده بقوة التشويق .

(٢) العنوان وسيمو طيقا الاتصال الأدبى صـ٢٦،٣١ بإيجاز د/محمد فكرى الجزار . ط الهيئة العامة للكتاب ط الثانية سنة ٢٠٠٦م.

التفاعل، على حسب ما يهدف إليه الكاتب، فى نظرته إلى هذه القيم، وفى أغراضه الإنسانية"[1].

وأول ما نراه من شخصيات فى قصة (اليمامتان) شخصية الكاتب نفسه، فقد أطل علينا بلغته، وفكره، واستمد قصته من التاريخ، وساق أحداثها، ووقائعها على ألسنة أشخاص آخرين منهم من يقوم بدور البطولة، ومنهم من يقوم بأدوار ثانوية.

١ـ أدوار البطولة : وتتمثل فى:

أ - كاتب القصة الذى أتى بالشخصيات الأخرى وأسند لكل شخصية ما يناسبها.

ب - شخصية "أرمانوسة".

جـ - شخصية "مارية".

ولكل شخصية معالمها ودورها فى تشكيل المعمار الفنى للقصة، ويتضح ذلك فى الآتى:

أ - شخصية كاتب القصة وقد أجاد فى القصة، وسرد أحداثها، وإيضاح الصراعات النفسية التابعة لأحداثها، كما وفق فى لغته التى أنطق بها أشخاصه، كما أجاد فى تقديم الكثير من المعلومات والحكم المتعلقة بالفتح والفاتحين.

ولكننى لا أوافقه فى الإسهاب الذى يتعلق بوصفه (لمارية) وصيفة (أرمانوسة)، فهذا لا يخدم القصة من بعيد ولا قريب. يقول:

"كانت لأرمانوسة وصيفة مولدة تسمى (مارية)، ذات جمال يونانى أتمته مصر ومسحته بسحرها، فزاد جمالها على أن يكون مصريا، ونقص الجمال اليونانى أن يكونه فهو أجمل منهما، ولمصر طبيعة خاصة فى الحسن، فهى قد تهمل شيئا من جمال نسائها أو

(١) النقد الأدبى الحديث صـ٥٢٦ د/ محمد غنيمى هلال ط ـ دار نهضة مصر . القاهرة . د.ت.

تشعث منه، وقد لا توفيه جهد محاسنها الرائعة، ولكن متى نشأ فيها جمال ينزع إلى أصل أجنبى أفرغت فيه سحرها إفراغا، وأبت إلا أن تكون الغالبة عليه، وجعلته آيتها فى المقابلة بينه فى طابعه المصرى، وبين أصله فى طبيعة أرضه كائنة ما كانت؛ تغار على سحرها أن يكون إلا الأعلى..." (١).

هذا التقريظ كله لا داعى له، ويمكن تلخيصه فى كلمتين: [كانت مارية جميلة لأنها نشأت فى مصر...] ، ولا يعنى القارئ إلا بجوهر (مارية) ومعرفة الحوار الذى وقع بينها وبين (أرمانوسة)، وماذا فعل الفاتحون المسلمون معهما؟

ولا أوافقه فى هذا التحول السريع الذى أوقعه (بمارية) عندما أحبت (عمرو بن العاص) وعشقته دون أن يدرى وتركت تجاذب أطراف الحديث مع (أرماتوسة) عن شئونهم جميعا مع الفتح، فكان المتلقى يرتشف منهما شهد الكلمات، وفجأة نراه يجعل اليمامتين عاشقتين، فمارية قد تعذر، أما (أرمانوسة) فكانت فى طريقها إلى زفافها على ابن (هرقل) فكيف يقول عنها: "ورقت لها ارمانوسة، وكانت هى أيضا تتعلق فتى رومانيا، فسهرتا ليلة تديران الرأى فى رسالة تحملها (مارية) من قبلها إلى (عمرو) كى تصل إليه، فإذا وصلت بلغت بعينيها رسالة نفسها!!" (٢).

ويمكن القول بأنه بدأ بداية تاريخية وانتهى نهاية عاطفية ذاتية، ومع ذلك فقد أجاد فى أمرين تجاه هذا الحدث ..

الأمر الأول: أنه خلق صراعا نفسيا عنيفا عند كل من أرمانوسة ووصيفتها، ولعل هذا الصراع قد نتج من شدة إعجابهما بالفاتحين، وبالتالى فلا تستطيع الفتاتان التكتم على سمات العشق.

(١) وحى القلم صـ١٨ .
(٢) السابق صـ٢٧ .

والأمر الثانى: أنه استخدم لغة العيون فى هذا الصراع وهى مرآة الوجه، ونافذة النفس إلى العوالم الخارجية، وقد أجاد فى وصفه لمارية فى هذا المشهد إذ يقول: "... وجعلت تذوى وشحب لونها وبدأت تنظر نظرة التائه ... وبان عليها أثر الروح الظمأى، وحاطها اليأس بجوه الذى يحرق الدم، وبدت مجروحة المعانى، إذ كان يتقاتل فى نفسها الشعوران العدوان: شعور أنها عاشقة وشعور أنها يائسة"[1].

فالعدو الأول (العشق) وقد صرفها عما كانت مهتمة به، والعدو الثانى هو صعوبة تحقق ذلك الأمل؛ لأن المحبوب هو قائد الفتح (عمرو بن العاص)!!

ويزداد الصراع، ويبلغ ذروته فى هذا المشهد، عندما احتالت الفتاتان واتفقتا على إرسال رسالة إلى قائد الفتح تحملها (مارية) لتحقيق مأربها . ولما علمت أن (عمرا) قد سار إلى [الإسكندرية] لقتال الروم، ازداد الأمر سوءا، وازدادت [مارية] حزنا، ويأسا!!

ب - **وأرمانوسة:** تمثل (اليمامة) الأولى، وقد ذكر الكاتب بعض الملامح التى تحدد شخصيتها فقد: "...درست هى ومارية أدب يونان وفلسفتهم..." [2] وهذا يوضح هويتها الثقافية والعقلية، وظهر أثر هذا النضج فى ردودها على (مارية) عندما نقلت إليها ما تسمعه من إشاعات كاذبة عن جيوش الفتح، فوصفوا بأنهم جزارون ومجرمون. فقالت (أرمانوسة) :

"أنت واهمة يا مارية، أنسيت أن أبى قد أهدى إلى نبيهم[3] بنت (أنصنا)[4] فكانت عنده فى مملكة بعضها السماء، وبعضها القلب؟..

---

(١) وحى القلم صـ٢٦، ٢٧ .
(٢) السابق صـ١٩ .
(٣) صلى الله عليه وسلم .
(٤) تشير إلى مارية القبطية .

وأن نبيهم أطهر من السحابة فى سمائها .. وأنهم جميعا ينبعثون من حدود دينهم وفضائله، لا من حدود أنفسهم وشهواتها وإذا سلوا السيف، سلوه بقانون، وإذا أغمدوه أغمدوه بقانون .. وقالت عنهم النساء : لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى، فإنهم جميعا فى واجبات القلب وواجبات العقل ... ويكاد الضمير الإسلامى فى الرجل منهم يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته ..." [1].

وأهم القضايا التى جاءت على لسان البطلة (أرمانوسة) هى:

- تكريم النبى للمرأة كما فعل مع مارية المصرية وغيرها.
- القتال عند الفاتحين يقوم على الدفاع عن النفس لا الاعتداء.
- تكاد أسلحة الفاتحين أن تكون على خلق كأصحابها.
- الفاتحون يوازنون بين واجبات العقل والقلب.
- الفلسفة اليوناتية لم تفعل ما فعله هذا النبى الأمى .
- المسيح أوجد أمة مصغرة تتمثل فيه وفى الحواريين ، أما هذا النبى فالعالم كله أمة لدينه.
- المسيح جاء بعبادة القلب، أما هذا النبى فجاء بعبادة القلب، والأعضاء والنفس .
- المسيح بدء، وللبدء تكملة تتمثل فى النبى الأمى ودينه.
- الأمة التى تبذل أرواحها تاخذ كل شئ ، والأمة التى تستمسك بالحياة جبنا وحرصا لا تأخذ شيئا[2].

وكانت البطلة (أرمانوسة) عالية الهمة فى أكثر المواطن، ومتدنية فى بعضها[3]، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك .

---

(١) وحى القلم صـ٢٠ .

(٢) جاءت هذه الأقوال على لسان أرمانوسة.وحى القلم صـ٢٠ـ٢٣ .

(٣) مثل ذلك الموقف الذى أحبت من خلاله بعض فتيان الروم وهى فى طريقها إلى زوجها بفلسطين .

أما بطولتها الحقيقية فتتراءى للقارئ عند ذكرها لحقائق الفتح، وإنصافها، وعدم تعصبها للباطل، وهذا موقف من مواقف القوة عندها، فقد طلبت من (مارية) أن تصف قائد الفتح .

"قالت فصفية لى يا مارية. قالت: كان آتيا فى جماعة من فرسانه على خيولهم العراب، كأنها شياطين تحمل شياطين من جنس آخر... .

فقطعت (أرمانوسة) عليها وقالت ما سألتك صفة جوده .

قالت مارية : أما سلاحه ...

قالت: ولا سلاحه، صفيه كيف رأيته (هو)؟

قالت: رأيته قصير القامة علامة قوة وصلابة، وافر الهامة علامة عقل وإرادة، أدعج العينين ...

فضحكت أرمانوسة وقالت : علامة ماذا؟ ... أبلج يشرق وجهه كأن فيه لألاء الذهب على الضوء، أيدا[1] اجتمعت فيه القوة حتى لتكاد عيناه تأمران بنظرهما أمرا، داهية كتب دهاؤه على جبهته العريضة يجعل فيها معنى يأخذ من يراه، وكلما حاولت أن أتفرس فى وجهه رأيت وجهه لا يفسره إلا تكرار النظر إليه ... قالت أرمانوسة: كذلك كل لذة لا يفسرها للنفس إلا تكرارها !!!

فغضت مارية من طرفها وقالت: هو والله ما وصفت، وإنى ما ملأت عينى منه، وقد كدت أنكر أنه إنسان لما اعترانى من هيبته..."[2].

فالحديث كله ينصب على الإرادة، والصلابة، والقوة، والهيبة، والحزم، وتعلق القائد الفاتح بمعالى الأمور .

---

(١) أى قويا .

(٢) وحى القلم صـ ٢٤ .

جـ - أما (مارية) فلا يقل دورها عن دور أرمانوسة لقد شاركتها همومها وخففت عنها أحزانها، وكانت أحيانا سببا فى جلب الخوف إليها؛ وذلك بترويج الوساوس والأوهام والتحدث بها إلى أرمانوسة أثناء صحبتها لها.

وقد وصفها الكاتب بقوله: "وكانت مارية هذه مسيحية قوية الدين والعقل، اتخذها المقوقس كنيسة حية لا بنته.." (١).

ووصفه لها بقوة الدين والعقل، وصف دقيق؛ لأن الدين يحث على إعمال العقل والفكر فى الكون والكائنات، وهذا ما أكدته (مارية) فى كثير من الأحداث التى تنسب إليها بوصفها بطلة فى القصة.

فنراها تقسم لأرمانوسة بأبيها، وتستدعى التراث اليونانى، وتذكر بعض المقارنات بينه وبين هذه التعاليم الجديدة التى أتى بها نبى أمى، وكان أثره أكبر من أولئك بمراحل ملحوظة.

"قالت مارية: وأبيك يا أرمانوسة إن هذا لعجيب! فقد مات سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وغيرهم من الفلاسفة والحكماء، وما استطاعوا أن يؤدبوا بحكمتهم وفلسفتهم إلا الكتب التى كتبوها..!!

فلم يخرجوا للدنيا جماعة تامة الإنسانية فضلا عن أمة، كما وصفت أنت من أمر المسلمين، فكيف استطاع نبيهم أن يخرج هذه الأمة وهم يقولون إنه كان أميا أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء وأهل السياسة والتدبير ، فتدعهم يعملون عبثا أو كالعبث، ثم تستسلم للرجل الأمى الذى لم يكتب، ولم يقرأ، ولم يدرس ولم يتعلم؟" (٢).

إن إطلاعها على الآداب اليونانية ووقوفها على أهم معارفها مكنها من المقارنة علما بأن الكثيرين يخفون الحقائق، ولكن مارية لم تفعل ذلك، ولكنها أنصفت الفاتحين ونبيهم فى ذلك المشهد.

---

(١) وحى القلم صـ١٨ .
(٢) السابق صـ٢١ .

ولها موقفان فوبان أيضا:

أولهما : عندما نصحت أرمانوسة عند عودتها إلى أبيها (المقوقس)، نصحتها أن تتحدث مع قائد الفتح بعزة نفس وثقة:

"قالت لها: لا يجمل بمن كان مثلك فى شرفها وعقلها أن تكون كالأخيذة، تتوجه حيث يسار بها، والرأى أن تبدئى هذا القائد قبل أن يبدأك، فأرسلى إليه، فأعلميه أنك راجعة إلى أبيك، واسأليه أن يصحبك بعض رجاله، فتكونى الآمرة حتى فى الأسر، وتصنعى صنع بنات الملوك..." (١).

وثانيهما: عندما رأت أرمانوسة أن ترسلها إلى قائد الفتح ... فذهبت وأخبرته بما اقترحته عليها، وحدث حوار بينها وبين القائد حيث قال: "كيف ظنها بنا؟ قالت مارية: ظنها بفعل رجل كريم يأمر د اثنان: كرمه ... ودينه ... فقال : أبلغيها أن نبينا(٢) قال: "استوصوا بالقبط خيرا، فإن لهم فيكم صهرا وذمة" وأعلميها أننا لسنا على غارة نغيرها، بل على نفوس نغيرها"(٣).

فتصرفت تبعا لرجاحة عقلها، وغزارة علمها، وخاطبته(٤) مخاطبة الملوك دون أن ترجع إلى سيدتها فذكرته بكرمه ودينه وكان كما قالت، حيث أعاد أرمانوسة إلى أبيها، وأحاطها بما يشعرها بتكريمها.

ومن مواطن الضعف عند (مارية) تلك الوساوس التى أفزعت بها (أرمانوسة) عندما قالت عن الأربعة آلاف جندى الذين جاءوا مع القائد لفتح مصر:

---

(١) وحى القلم صـ٢٣ .
(٢) صلى الله عليه وسلم .
(٣) السابق والصفحة.
(٤) أى قائد الفتح .

"جاءك أربعة آلاف جزار أيتها الشاة المسكينة! .. ستذوق كل شعرة منك ألم الذبح قبل أن تذبحى! جاءك أربعة آلاف خاطف أيتها العذراء المسكينة .. ستموتين أربعة آلاف ميتة قبل الموت"(١) .

ولعل الكاتب أتى بهذه العبارات المخيفة ليحدث الصراع اللازم فى تعقيد الأحداث داخل القصة، وهذا هو الغالب من وجهة نظرى .

ولكن الواقع يؤكد أن الملوك يختارون لأبنائهم وبناتهم الحكماء والعقلاء الذين تغلب عليهم الروية والأناة؛ حتى يكونوا مصدر سرور وأمن، لا مبعث قلق وذعر، ومع ذلك فإن القصة تسمو "كلما تغلغلت فى دراسة الإنسان وواقعه، وأكثرت من عرض دخائله ودخائل الحياة.

إنها تنقل لنا الحياة بأكملها بجليلها وتافهها وحوادثها الكبيرة والصغيرة، فكلها مثار اهتمام للقصاص، لأنها جميعا من ذرات الحياة، والحياة تتألف من الجليل والحقير، والكبير والصغير ، لا فرق بين تافه وغير تافه، فكلها تتحول فى مخيلة القصاص البارع إلى أشياء مهمة تثيرنا"(٢).

وإذا قلنا إن تلك المخاوف والهواجس التى ألقت بها (ماريـة) فى أذن (أرمانوسة) كانت واقعية، فإن هذا يوافق حالها، إذ فاجأهم الفتح بجنوده ، ولم يعرفوا شيئا عن هؤلاء القادمين، ولكنها بالغت فى وصفهم (بالجزارين)، وعلى كل فإن (مارية) كانت خير معوان (لأرمانوسة) فى صحبتها، وعقلانيتها، وهى جديرة بأن تكون بطلة فى أقوالها، وتأثيرها، وسلوكياتها.

(١) وحى القلم صـ١٩، ٢٠ .
(٢) فى النقد الأدبى صـ٢٢١ د/ شوقى ضيف ط دار المعارف . السابعة سنة ١٩٨٨م.

٢ ـ الشخصيات الثانوية وأدوارها:

أ ـ قيس بن أبى العاص السهمى:

وكان دوره سلوكيا، ولم يتكلم إلا قليلا، ولكنه فعل، وكان فعله أبلغ بكثير من الكلام فقد كلفه الفاتح القائد بمرافقة موكب أرمانوسة لإرجاعها إلى أبيها عندما تعثر زفافها إلى قسطنطين فى بلدة (قيسارية) بفلسطين عن طريق الصحراء الشرقية فى بلبيس. فعادت إلى بيتها وصاحبها الأمن والعفاف والتقوى مجسمة فى شخصية ذلك الرجل.

".... فلما كانوا فى الطريق وجبت الظهر، فنزل (قيس) يصلى بمن معه والفتاتان تنظران..." [١]، وهذه صورة مشرقة للفاتح التقى الأمين؛ وعندما لم تفهما ما يفعله (قيس) سألتا أهل الذكر وهو:

ب ـ الراهب (شطا):

"ماذا يقولون؟ قال: إن هذه[*] كلمة يدخلون بها صلاتهم، كأنما يخاطبون بها الزمن أنهم الساعة فى وقت ليس منه ولا من دنياهم، وكأنهم يعلنون أنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود: فإذا أعلنوا انصرافهم عن الوقت، ونزاع الوقت، فذلك هو دخولهم فى الصلاة: كأنما يمحون الدنيا من النفس ساعة أو بعض ساعة، ومحوها من أنفسهم هو ارتفاعهم بأنفسهم عليها، انظرى ألا ترين هذه الكلمة قد سحرتهم سحرا، فهم لا يلتفتون فى صلاتهم إلى شئ، وقد شملتهم السكينة، ورجعوا غير ما كانوا، وخشعوا خشوع أعظم الفلاسفة فى تأملهم"[٢].

إن شخصية (قيس) لم يطل الحديث عنها فى القصة، ويكفيه ذلك الدور الأخلاقى الذى قام به تجاه أرمانوسة ومن معها.

---

(١) وحى القلم صـ ٢٤ .

(*) يشير إلى عبارة (الله أكبر) .

(٢) السابق ٢٤ ، ٢٥ .

أما الراهب (شطا) فيوضح الكثير من الأحداث بوصفه رجل دين يعلم أن العبادات كلها هدفها واحد، وهو الذل والانقياد لله وحده، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ أى إسلام الوجه لله وحده، وكل الأنبياء نادوا بذلك .

تداخل بين (قيس) والراهب (شطا) :

ويحدث حوار بينهما حول تحديد بعض المفاهيم فتطلب (مارية) من الراهب (شطا) أن يسأل (قيسا) عن الهدف من هذه الحرب ــ كما يسمونها ــ وهل فى سياستهم أن يكون القائد الذى يفتح بلدا حاما على هذا البلد؟

ويرد (قيس) : حسبك أن تعلمى أن الرجل المسلم ليس إلا رجلا عاملا فى تحقيق كلمة الله ، أما حظ نفسه فهو فى غير هذه الدنيا!! ... وبهذا تكون النفس أكبر من غرائزها، وتنقلب معها الدنيا برعونتها وحماقاتها وشهواتها كالطفل بين يدى رجل، فيهما قوة ضبطه وتصريفه، ولو كان فى عقيدتنا أن ثواب أعمالنا فى الدنيا لانعكس الأمر .

جـ ــ ومن الشخصيات الثانوية التى ليس لها دور يذكر فى القصة "وردان" مولى (عمرو بن العاص)، ويتلخص دوره فى تعريف (مارية) به، عندما أعجبت بشخصيته بصفته فاتحا مسالما ذا إرادة صارمة .

د ـ ومن الشخصيات الثانوية أيضا (قسطنطين) ابن هرقل عظيم الروم الذى كانت (أرمانوسة) ستزف إليه وليس له ولا لأبيه دور يذكر فى القصة إلا اسمهما .

ثالثا: العقدة والحل فى القصة:

تحتوى القصة ــ بصفة عامة ــ على أحداث ما، تجرى على أشخاص محددين، وتنمو الأحداث وتنمو معها الأشخاص حتى يصل الجميع إلى الذروة، ولكن الأشخاص تعترضهم عوائق ، ومثبطات،

وأحاديث نفس تنجم عن خوف، أو توقع ما، أو مفاجأة تقلب الأحداث رأسا على عقب.

"والتجربة فى القصة، لابد فيها من صدق الكاتب، وليس ضروريا أن يكون قد عاناها بنفسه، بل يكفى أن يلحظها ويؤمن بها"(١).

وتجربة (الرافعى) فى (اليمامتان) تاريخية فهى من القصص التاريخى، وكل التجارب مطروحة أمام الكتاب، فمنهم من يتخذ مادته القصصية "من الحاضر، ومنهم من يتخذها من التاريخ، ومنها المحلى الذى يعنى بأحوال مجتمع معين وقضاياه ومنها الإنسانى الذى يعنى بلب الحياة البشرية وجوهرها، ومنها النفسى الذى يعنى بالتحليل النفسى للشخوص وما يتردد فى أعماقها إزاء الأحداث من أصداء خفية"(٢).

وقد أشرت من قبل إلى أن التجارب لابد فيها من صدق. وهذا ما ألمحه فى قصة الرافعى التى بين أيدينا، فقد أثيرت الشبهات الكثيرة حول الفتح الإسلامى للبلاد المفتوحة، وحول الفاتحين وأخلاقهم، وحول الجزية، وحقوق الإنسان لأصحاب الديانات الأخرى. أو ما يعرف (بالأقليات)، هذه المزاعم ما زالت تثار من حين لآخر للطعن فى الدين الإسلامى الذى ارتضاه خالق البشر لكل العالمين ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ (٣).

وكأنى بالرافعى وهو ينفخ الغبار، ويميط اللثام عن الفتح الإسلامى لمصر، ويبين من خلال (اليمامتان) إنسانية الفاتحين. ومروءتهم، وتشبعهم بالدين، ومسالمتهم لأهل البلاد المفتوحة. وأراد

---

(١) فى النقد الأدبى الحديث صـ٥٠٤ بإيجاز د/ محمد غنيمى هلال.
(٢) فى النقد الأدبى صـ٢٢٧ د/ شوقى ضيف . الطبعة السابعة . دار المعارف سنة ١٩٨٨م.
(٣) المائدة / ٣ .

أيضا أن يذكر بعض المقارنات بين الشريعة الجديدة التى تمثل الكلمة الأخيرة للسماء وبين ما سبقها من شرائع حرفت على أيدى السابقين؛ بسبب الهوى والعداوة التى نجمت لا لشئ؛ إلا لظهور نبى وأنه من العرب!

وأراد الرافعى أن يؤكد على حرية الاعتقاد، فلا يوجد فى القصة ما يجبر أحدا على الدخول فى الإسلام، ولكن حقائقه الوضاءة هى التى تجذب الآخرين للدخول تحت مظلتها الرحيمة: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾[1].

وفى القصة عقدتان. الأولى تختص بأرمانوسة. والثانية تختص بوصيفتها ماربة.

أما الأولى: فالمعروف أن (أرمانوسة) هى ابنة عظيم (مصر) فى ذلك الوقت، وكانت مهيأة لزفافها على (قسطنطين بن هرقل) الكائن فى (قيسارية) بفلسطين، وفجأة وأثناء سير الموكب عن طريق (بلبيس) فى شرقى مصر، يصطدم بالفاتحين، ويحاصرون وتكاد الفرحة أن تموت فى صدورهم، والبهجة تزول من أسارير وجوههم! ماذا تفعل تلك الحسناء فى يوم يعد من معالم حياتها وماذا يفعل زوجها المنتظر؟ وماذا يفعل أبوها (المقوقس)؟ وماذا يقول لرئيسه (هرقل) إمبراطور الروم؟ ماذا يقولون جميعا للمدعوين؟ وهل سينقلب الفرح إلى حزن؟ والسرور إلى غم؟ وهل سيتمتعون بحريتهم أم يتوجسون من القيد والأسر؟ إنهم لا يعرفون إلا القليل عمن يواجهونهم، ولا يعرفون شيئا مطلقا عن مصيرهم!!

وفجأة يأتى الحل من أصحاب القلوب الرحيمة: (الفاتحين) بقيادة (عمرو بن العاص) فيوزع المهام على الجنود، ويكلف (قيس بن أبى العاص السهمى) أن يذهب بتلك العروس إلى أبيها وأهلها ...

(١) البقرة / ٢٥٦ .

فيتمثل ويعود بها ومعهما موكبها يرفرف عليه الأمان، والرعاية، والاهتمام.

فينقلب الذعر إلى أمن، والاضطراب إلى سكينة والقلق إلى طمأنينة، والشدة إلى رخاء، والشقاء إلى سعادة، والغم إلى سرور وفرح واستبشار.

وأثناء سير الموكب، وعودته إلى (المقوقس)، يتوقف (قيس) فى الطريق ليقيم الصلاة، ويطبق الأمانة بكل معانيها فيمن تكفل بردهم إلى أهلهم سالمين، ويرون فيه صورة مشرقة للكثير من جوانب الإسلام، وما فيه من حفظ النفس والمال والعرض، والعقل. ويدور الحوار المثمر بين راهبهم (شطا) و(قيس) ويعرفون شيئا من أنوار الدين وتعليماته الرشيدة.

وتدور حوارات أخرى كثيرة بين اليمامتين (أرمانوسة) و(مارية) توضح فيه كلتاهما ما يجرى فى رأسيهما، ولكن [مارية] تحدث صراعا نفسيا عنيفا للعروس (أرمانوسة)، وتوهمها، أن هؤلاء الجنود الآتين إلى مصر، لا هم لهم إلا النهب، والقتل، والسلب. والإضرار، وإلحاق الأذى بكل مكان يوجدون فيه، وأنك يا (أرمانوسة) ستموتين أربعة آلاف[1] ميتة، قبل الموت!

ولكن ثقافة البطلة ابنة عظيم مصر تسيطر عليها، فقد أعطاها أبوها فكرة عن أخلاق المسلمين، ومروءتهم، وإنسانيتهم فاستلهمت تلك الفكرة .. وانقلبت بسلوكها فصارت مصدر أمن لمارية، وبثت ما كانت تعرفه عن الإسلام، والفلسفة اليونانية، فأكدت أن الإسلام يفوق ما جاء قبله فهدأت مارية .

أما العقدة الثانية التى تختص بمارية فهى طلبها ما لا ينال. وتعلقها بحب قائد الفتح (عمرو بن العاص)، فألفاظها، ونظرات

(١) بعدد جنود الفتح .

عيونها، وتتبعها للقائد وأخباره، كلها أمارات على ذلك الحب المينوس منه، يقول:

"... كانت تستقرئ أخبار الفاتح، تطوف منها على أطلال من شخص بعيد، وكان (عمرو) من نفسها كالمملكة الحصينة من فاتح لا يملك إلا حبه أن يأخذها، وجعلت تذوى، وشحب لونها، وبدأت تنظر النظرة التائهة وبان عليها أثر الروح الظمأى، وحاطها اليأس بجوه الذى يحرق الدم، وبدت مجروحة المعانى إذ كان يتقاتل فى نفسها الشعوران العدوان: شعور أنها عاشقة وشعور أنها يائسة.." [1].

وحب كهذا، ماذا يرجى له من نتيجة؟ إن حبا بلا أمل، كشجر يابس فقد الماء والغذاء، يقول: "ولم يمض غير طويل حتى قضت (مارية) نحبها ... وحفظت عنها (أرماتوسة) نشيد اليمامة ... ومنه: أيتها اليمامة لم تعرفى الأمير، وترك لك فسطاطه[2]! هكذا الحظ: عدل مضاعف فى ناحية، وظلم مضاعف فى ناحية أخرى، احمدى الله أيتها اليمامة، أن ليس عندكم لغات، وأديان. عندكم فقط: الحب والطبيعة والحياة"[3].

إذن تمثل حل هذه العقدة فى موت (مارية)، ورحيل المحبوب (عمرو بن العاص) إلى تبعات الفتح، وبناء الرجال الربانيين، وتعريف أهل البلاد بالدين الإسلامى الحنيف.

وموت (مارية) يرمز إلى أن العواطف المشبوبة تأتى وتذهب، ويمكن تعويضها فى أية لحظة، أما فرص النصر، والفتح ونشر دين الله فلن تعوض، ولابد أن ينهض بها رجال تقوى إرادتهم الصارمة على عواطفهم الجياشة، ولابد أن تتحقق القوة المستخدمة فى الحق

(١) وحى القلم ٢٦، ٢٧ .
(٢) تشير إلى الخيمة التى تركها (عمرو بن العاص) عند رحيله حتى لا يفرق بين الحمامة وبيضها. وهذا من باب الرأفة والرفق.
(٣) وحى القلم ٢٧، ٢٨ باختصار .

والخير، والتى يعنيها المولى سبحانه فى قوله: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

وقد أوضح الراهب(شطا)جوهر الفتح وما أتى من أجله الفاتحون فقال لأرمانوسة ومارية ومن معهما: "كيف لا تفتح الدنيا على قوم لا يحاربون الأمم بل يحاربون ما فيها من الظلم،والكفر،والرذيلة..."[2].

وبهذا الهدف النبيل تنحل كل العقد المتوجسة من المد الإسلامى الذى يندفع بالقوة الذاتية؛ لأنه يعنى بالفطرة والفرد، والجماعة. ويهذب الغرائز، ويحترم الآخر أيا كانت عقيدته، أو لونه أو بيئته. بالإضافة إلى أنه يعنى بكل ما هو إنسانى يتعلق براحة الإنسان. وسعادته، وطمأنينته، واستقراره.

رابعا : الأسلوب فى القصة:

الأسلوب فى القصة هو "المادة اللغوية التى يسلك بها القاص سبيل قصته ويقوم على الدعائم الآتية:

أ- السرد ، وهو أسلوب القاص نفسه وهو يعطينا مضمونه الفكرى أثناء سرد قصته، وإبراز أحداثها. وقد يكون السرد مباشرا. أو عن طريق السرد الذاتى الذى يأتى على لسان الشخصية أو عن طريق المذكرات أو الوثائق .

ب- الحوار: ويأتى بتمهيد القاص وهو يسرد بعض الأحداث. وميزته أنه يجعل القارئ أكثر قربا من الحدث أو الواقعة، فيكسب الموقف حيوية خاصة،ويمكن أن يجعل الحوار بلغة فصيحة سهلة"[3].

---

(١) الأنفال ٦٠ .

(٢) وحى القلم صـ٢٥ .

(٣) فى النقد الأدبى الحديث صـ١٨٧ د/ محمد أحمد سلامة ط:الأولى دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٨٨م.

وللقاص مطلق الحرية فى الأسلوب الذى يختاره لعمله القصصى "على أن من المواقف ما يكون الحوار أخلق بها وأروع فى تصويرها كالمواقف الحادة ذات الانفعال الثائر بين بطلين، أو المواقف العاطفية كالعتاب بين حبيبين، فهنا لا يبلغ أسلوب الوصف من الكاتب، مبلغ العبارة الحية من لسان الأشخاص أنفسهم.

ويتمتع أسلوب القصة بحرية أخرى هى حرية الإطناب والتفصيل وتتبع الحوادث كبيرها وصغيرها، وخطيرها وحقيرها، فكم من حادث تافه جر إلى حدث عظيم، وكم من دعابة عابرة أدت إلى شر كبير.

فالكاتب لابد أن يسجل ذلك كله حتى لا يترك فراغا أو انقطاعا فى سلسلة الحوادث إذ القصة تصور جزءا كاملا من طبيعة الحياة، وفى الحياة الطبيعية يجلس الكلب إلى جوار سيده وتقف طفيليات النبات بجوار الأشجار العظيمة فأسلوب القصة يتسع لذلك كله..."[1].

ويغلب على الرافعى أسلوب (الحوار) فى (اليمامتان) ويليه أسلوب (السرد) حيث يسوق من خلاله ما يريد من حكم أخلاقية، أو دينية، أو واقعية.

ولكنه يسوق ما يسوق من مادة قصصية بلغة فصحى، وصياغة محكمة تنبئ عن ثقافة واسعة، وتمكن من أساليب البيان العربى.

وللحوار الذى دار بين [أرمانوسة] ووصيفتها [ماريـة] ثمار شتى، حينما أفزعتها وصيفتها من فاتحى مصر، وأنهم جزارون، وسوف تذوق كل شعرة منها ألم الذبح قبل الذبح!!

ولكن [أرمانوسة] ترد عليها هذا الوهم، وتؤكد لها أن هذا النبى الذى يتبعه الفاتحون، يقدر المرأة، ويعرف مكانتها، ويحترم

(١) اتجاهات وآراء فى النقد الحديث صـ١٤٩ د/ محمد نايل مطبعة العاصمة. القاهرة. د.ت.

إنسانيتها من خلال معاملته لـ[مارية] التى أهديت له من (مصر) فكانت عنده فى "مملكة بعضها السماء وبعضها القلب"(١).

فمن ثمار هذا الحوار أن وصيفة (أرمانوسة) الخائفة انقلبت إلى شخصية آمنة : "... فاستروحت واطمأنت باطمئنان [سيدتها] وقالت: فلا ضير علينا إذا فتحوا البلد، ولا يكون ما نستضربه؟ قالت (أرمانوسة): لا ضير يا مارية.."(٢).

وعن طريق الحوار بين هاتين البطلتين عرفنا أن ما جاء به الإسلام يفوق ما تركه الفلاسفة القدماء.

"قالت (مارية) : وأبيك يا أرمانوسة، إن هذا لعجيب، فقد مات سقراط، وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة والحكماء ... وما استطاعوا أن يؤدبوا بحكمتهم وفلسفتهم إلا الكتب التى كتبوها فكيف استطاع نبيهم أن يخرج هذه الأمة وهم يقولون إنه كان أميا؟ أفتسخر الحقيقة من كبار الفلاسفة والحكماء، وأهل السياسة والتدبير"(٣).

وعن طريق الحوار أخرجت كل من (مارية) و(أرمانوسة) ما يدور فى داخلهما تجاه ما يريانه من شئون الفتح، وتجاه عواطفهما الداخلية، وهذا يؤكد أن المرأة تفهم نظيرتها بسهولة .

وعن طريق الحوار جاءت هذه المقارنات بين ما جاء به المسيح، والنبى محمد ــ عليهما الصلاة والسلام ــ وأثمر حوار البطلتين تلك الحقيقة: "المسيح بدء، وللبدء تكملة، ما من ذلك بد، لا تكون خدمة الإنسانية إلا بذات عالية لا تبالى غير سموها. الأمة التى تبذل كل شئ، وتستمسك بالحياة جبنا وحرصا لا تأخذ شيئا، والتى تبذل أرواحها فقط تأخذ كل شئ"(٤).

---

(١) وحى القلم صـ٢٠ .
(٢) السباق صـ٢١ .
(٣) السابق والصفحة .
(٤) وحى القلم صـ٢٣ .

وللسرد أيضا ثماره فى القصة فمعظم الحكم والحقائق التى تتحدث عن الإسلام قد سردها الكاتب على لسان الشخصيات، كقوله على لسان (المقوقس) لابنته المذعورة:

"... لأن تخاف المرأة على عفتها من أبيها أقرب من أن تخاف عليها من أصحاب هذا النبى؛ فإنهم جميعا فى واجبات القلب وواجبات العقل، ويكاد الضمير الإسلامى ــ فى الرجل منهم ــ يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته!!" (١).

ويسرد بعض الفروق بين المسيحية والإسلام. "... إن المسيح لم يأت إلا بعبادة واحدة هى عبادة القلب، أما هذا الدين فيأتى بثلاث عبادات يشد بعضها بعضا:

إحداها للأعضاء .

والثانية للقلب .

والثالثة للنفس" (٢).

ثم ذكر لكل شئ من الثلاثة ما يخصها وما يجب أن يعنى بها، وهذا من حسن التقسيم الذى يثبت المعنى ويجذب المتلقى إلى تهذيب قلبه، وجوارحه، ونفسه .

ويسرد على لسان الراهب [شطا] بعض الأمور التى تتعلق بالصلاة، فقد أعجبت [أرمانوسة] و[مارية] بـ[قيس] عندما حان وقت الظهر، فتطهر وصلى بجوارهما أثناء صحبته لهما، وقد توقف الزمن بعض الدقائق بسبب (الله أكبر) أى أكبر من الدنيا بكل ما فيها ... ولكن وضع الصلاة قد تغير الآن عند الكثيرين، وهذا ما أوضحه على لسان الراهب (شطا) :

(١) وحى القلم صـ ٢٠ .
(٢) السابق صـ ٢٢ .

"... ولكن هؤلاء المسلمين متى فتحت عليهم الدنيا وافتتنوا بها، وانغمسوا فيها، فستكون هذه الصلاة بعينها ليس فيها صلاة يومئذ..." (١).

فيشير الكاتب إلى أن الصلاة اليوم تشبه حركات ديناميكية، أكثرها عادة، وقد خلت من روح الخشوع والتعبد والتذلل بسبب الانشغال بملذات الدنيا وجمع حطامها ... وهناك بون شائع بين حال كثير من المصلين اليوم، وبين أسوتهم الحسنة ـ ﷺ ـ الذى جعلت قرة عينه فى الصلاة.

ويسرد الكاتب أشياء أخرى تتعلق بأماكن التعبد فيقول عن (الكنيسة) وأماكن تعبد الأمة المحمدية: "إن الكنيسة كالحديقة هى حديقة فى مكانها، وقلما توحى شيئا إلا فى موضعها ... فالكنيسة هى الجدران الأربعة، أما هؤلاء فمعبدهم بين جهات الأرض الأربع.."(٢) وهو بذلك يشير إلى خصوصية من خصوصيات النبى وأمته، حيث جعلت له الأرض مسجدا، وطهورا، فأيما رجل من أمته أدركته الصلاة فليصل، فلا توجد واسطة بينه وبين ربه، ولا يوجد عائق بينه وبين التطهر، والعجيب أن الإنسان خلق من الماء والتراب، والأعجب من ذلك أنه يتطهر بالماء، وإذا تعذر أو فقد تطهر بالتراب، ليظل موصولا بربه دائما.

(١) وحى القلم صـ٢٥.
(٢) السابق صـ٢٥.

[من معالم أسلوب الرافعى]

لا شك أن الرافعى على دراية بالأساليب العربية؛ ولذا فقد وصف نفسه بأنه: "رسول لغوى" كما سبق أن أشرت، ومن ثم فقد اتكأ على علوم البلاغة مع قوة خياله فى تقديم صوره ومضامينه التى ساقها على ألسنة الشخصيات الواردة فى القصة.

وقبل هذا كله لابد أن أشير إلى أنه جعل من التاريخ مادة خصبة؛ لأنه تعامل مع أحداثه بخيال "الشاعر الذى ينشر الحوادث. ويبعث الحياة فيها، وهذا لابد له من براعة الكاتب البليغ.."[1].

وقد جاء علم البديع عنده طبعيا لا تكلف في، كحسن التقسيم فى قوله على لسان (مارية) فى وصف الفاتح (عمرو) "قلت: ظنها بفعل رجل كريم يأمره اثنان: كرمه، ودينه"[2]، ونراه قد مزج بين هذا الفن البديعى، والتشخيص، حيث جعل الكرم آمرا بأفعال المروءة. وتقدير الآخرين وعطف عليه لفظ "دينه"؛ لأن التدين الصحيح يتوافق مع الفطرة السليمة التى لم تلوث. وقدم: "كرمه" على: "دينه" لأن الإنسان الكريم لديه كرامة وعطاء، وإذا أضيف الدين إلى الكرم فإن صاحبهما يجمع بين المحاسن كلها، وجاء عن بعض الجاهليين حبهم لذكره. مثل حاتم الطائى، الذى وصف كثيرا بمكارم الأخلاق.

ومن حسن التقسيم أيضا وصفه لشعور (مارية) وما فى داخلها من صراع عندما مال قلبها إلى الفاتح (عمرو): "إذ كان يتقاتل فى نفسها الشعوران العدوان: شعور أنها عاشقة وشعور أنها يائسة.."[3]. وكان دقيقا فى رسم هذه الصورة الحية من خلال الفعل المضارع: "يتقاتل" الدال على تلك الحالة النفسية السيئة، وزاد من

(١) الأسلوب صـ٩٦ بتصرف أ/ أحمد الشايب الطبعة السابعة ـ مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٦م.
(٢) وحى القلم جـ١ صـ٢٣ .
(٣) السابق صـ٢٧ .

سوءها تاء الافتعال فى ذلك الفعل، ومادته اللغوية (ق ـ ت ـ ل) التى تدل على الانقباض والألم .

ومن حسن التقسيم قوله عند المقارنة بين ما جاء به المسيح، والنبى محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ "إن المسيح لم يأت إلا بعبادة واحدة هى عبادة القلب، أما هذا الدين ... فقد جاء بثلاث عبادات يشد بعضها بعضا: إحداها للأعضاء، والثانية للقلب، والثالثة للنفس"[1] وأخذ يفصل كل عبادة على حدة، وكأنى به وهو يريد أن يقول: إن الدين الإسلامى يجل عبادة القلب التى جاء بها [المسيح] وزاد عليها ، والقرآن الكريم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ ...إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2] ، ولكن حسن التقسيم يجذب المتلقى ويوقظه إلى الواجبات المتعلقة بقلبه، وجوارحه، ونفسه .

ومن ألوان البديع ذلك الجناس الذى أتى على لسان (عمرو) فى رسالة شفهية إلى (أرمانوسة) عن طريق وصيفتها: "وأعلميها أننا لسنا على غارة نغيرها. بل على نفوس نغيرها"[3] فالإغارة غير التغيير. الأولى تعنى: الاعتداء والهجوم والأذى، والتغيير يعنى: البناء والإعمار والنفع، وهذا الجناس أوضح بجلاء هوية هؤلاء الفاتحين المخلصين، والتشديد فى الفعل المضارع: "تغيرها" يفيد تكرار المحاولات المتعلقة بذلك التغير إلى الأفضل دائما؛ لأن تحول الإنسان من صفة ذميمة إلى أخرى ممدوحة يتطلب من ذلك الإنسان أن يكون شديدا على نفسه، وهذا يتوافق مع تشديد الياء فى : "تغيرها" والنون فى بداية الفعل توحى بضرورة أن يكون التغير جماعيا؛ وهذا ما يدل عليه الفاعل المستتر: "نحن" .

---

(١) وحى القلم صـ٢٢ .
(٢) من الآية ٣٦/ الإسراء.
(٣) السابق صـ٢٣ .

إذن الجناس ليس زخرفا لفظيا، ولكنه يتصل بالمضمون اتصالا وثيقا.

ويأتي بالتشخيص في أكثر من موضع، فيشخص ضمير الإنسان المسلم، ويجعله محركا ودافعا له عند الإقدام على أفعال الجوارح، فلا يفعل إلا ما يوافق دينه فيقول: "... ويكاد الضمير الإسلامي[1] في الرجل منهم يكون حاملا سلاحا يضرب صاحبه إذا هم بمخالفته."[2].

ويشخص الزمن عند تعامل المسلمين المصلين مع عبارة : [الله أكبر] فيقول: "كأنما يخاطبون بها الزمن، أنهم [الساعة] في وقت ليس منه ، ولا من دنياهم، وأنهم بين يدى من هو أكبر من الوجود..." [3].

ومن تشبيهاته الرائعة: تشبيه الكنيسة بالحديقة وتشبيه معبد المسلمين بجهات الأرض الأربع[4]، ولهذا التشبيه دلالات قوية من ناحية المضمون والشكل. فالمضمون يتضح في أن ديانة المسيح ـ عليه السلام ـ جزء من الإسلام، ولابد للمسلم أن يؤمن بها . ويتضح الشكل في أن ذلك التشبيه يوحى بالنفع؛ لأن المشبه به (الحديقة) تؤتى أكلها كل حين. وفيها الثمار والفواكه، والخضرة والسرور، ومن أهم ثمارها الشهية الإيمان بمحمد ـ ﷺ ـ لأن أوصافه جاءت في الكتاب المقدس الذى تؤمن به الكنيسة .

والتشبيه الثانى يوحى بأن الإسلام سيبلغ الجهات الأربع للأرض؛ لأنه لا دين بعده، وبالتالى فهو للناس كافة، والخيرية فيه للبشر كلهم.

---

(١) أى المتشبع بتعاليم الإسلام الذى ارتضاه الله لعباده.
(٢) وحى القلم صـ ٢٠ .
(٣) السابق صـ ٢٤ .
(٤) السابق صـ ٢٥ .

ومن تشبيهاته قوله عن جنود الروم: "..فهم القساة الغلاظ المستكلبون كالبهائم"[1] وجاء هذا التشبيه بعد معايشتهم للفاتحين المسلمين، وبعد أن أثبتت تصرفاتهم عكس ما أشيع عنهم، ولذا أتى التشبيه السابق على لسان "أرمانوسة" ثم استطردت وهى تقول عن هؤلاء الفاتحين: "... ولكنهم يفهمون متاع الدنيا بفكرة الاستغناء عنه، والتمييز بين حلاله وحرامه، فهم الإنسانيون الرحماء المتعففون..."[2].

ولا شك أن وصفهم بالإنسانية، والرحمة والعفة يتصل بأعمال الفتح، وقد نجحوا فى الخروج من هذه الابتلاءات؛ لأنهم يتبعون تعاليم هذا الدين الذى يراعى إنسانية البشر، ويرحم ضعفاءهم وأطفالهم، ويتعفف عن حرمات نسائهم، وفى القصة أساليب أخرى نحوية كالتعجب، والقسم، والتفضيل، وفى هذا القدر كفاية.

(١) وحى القلم صـ٢١.
(٢) السابق والصفحة.

الخاتمة

الحمد كائن لله تعالى فى البدء والختام وما بينهما. والصلاة والسلام على من ختمت به النبوات.

وبعد ...

فهذه أهم النتائج التى تستفاد من هذا البحث.

١ - يستمد الرافعى جذور قصته، وفكرتها من التاريخ الإسلامى، وأراد أن يرد على أولئك الذين يزعمون أن الإسلام انتشر بحد السيف، ولكنه فى الحقيقة انتصر على السيف؛ لأنه يشيع السلم والمسالمة، وينبذ الحرب والعنف وإراقة الدماء.

٢ - لقد أشيع عن الفاتحين، أنهم ينهبون ويسلبون، ويلتهمون كل ما يقابلهم أثناء فتح البلاد، فأراد الكاتب أن يثبت بالدليل الواضح عكس ذلك، حيث لم يتطرق الفاتحون للنساء أو الأطفال، أو الشيوخ، فهم يعمرون ولا يخربون.

٣ - لقد ترك الفاتحون لأهل البلاد المفتوحة حرية الاعتقاد والتدين. وأكبر دليل على ذلك فى مصر ــ بصفة خاصة ــ تواجد الآثار الفرعونية القديمة، وتواجد عدد من المصريين المسيحيين المحتفظين بعقيدتهم حتى يومنا الحاضر، وهم يعيشون بجانب إخوانهم المسلمين.

٤ - استغرقت الأحداث فى القصة مساحة كبيرة؛ لأنها متنامية، ومتموجة، أما الشخصيات فهى ثابتة.

٥ - تحقق الصراع النفسى فى العقدة الخاصة بالبطلتين: (أرمانوسة) و(مارية)، ووجد الحل للأولى بأن عادت إلى أبيها فى ليلة زفافها، ولم تقتل ولم تذبح ــ من الفاتحين ــ كما قيل لها. ففرح أهلها بها وبالفاتحين.

وانحلت عقدة (مارية) بموتها، وانطلاق (عمرو بن العاص) ــ الذى أحبته دون أن يدرى ــ إلى إتمام الفتح، وتصحيح المفاهيم، وتعريف الناس بالدين الإسلامى .

٦ - كثرت أساليب الحوار والسرد فى القصة وتعاضد الأسلوبان فى إيضاح الكثير من المفاهيم على ألسنة الكاتب والشخصيات التى اختارها لقصته. وقل أسلوب "الوصف" وقد ورد عند حديثه عن جارية أرماتوسة: (مارية) وهو يصف جمالها اليونانى الذى كان متعطشا إلى جمال الطبيعة المصرية .

٧ - تنبئ القصة عن سعة إطلاع الكاتب، فهو يجمع بين الثقافة اليونانية، والعربية، والإسلامية، والتاريخية كقوله على لسان (مارية) : "إن الأقدمين من الحكماء والفلاسفة كأفلاطون وأرسطو استطاعوا أن يؤدبوا الكتب التى تركوها ... أما الحقيقة فقد أسلمت قيادها للنبى الأمى الذى لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يدرس، ولم يتعلم.."[1] .

٨ - اختياره لليمامتين ليجعلهما عنوانا لقصته يدل على حب الجمال، والسلام، والانطلاق، والتوكل، والحرية، والسعى، والحركة، والأخذ بالأسباب الموصلة إلى النتائج الإيجابية فى الحياة .

٩ - لقد أطنب فى الحديث عن بعض الشخصيات كحديثه عن (أرماتوسة) و(مارية) و(عمرو)، واقتضب الحديث عن الشخصيات الثانوية مثل (قيس السهمى) والراهب (شطا) و(وردان) مولى عمرو، و(هرقل) عظيم الروم، و(المقوقس) عظيم القبط فى مصر، و(قسطنطين) ابن هرقل فحدث توافق بين

(١) وحى القلم صـ٢١ بإيجاز .

الشخصيات وما قاموا به من أحداث، وهذه من الأشياء التى تحسب للكاتب .

١٠ - ولم يوفق الكاتب عندما جعل (أرمانوسة) تحب فتى رومانيا أثناء عودتها إلى أبيها فى صحبة (قيس السهمى) فى حين أنها كانت متوجهة إلى خاطبها (قسطنطين بن هرقل) بفلسطين، ثم حدثت لها هذه العقدة على الحدود بين مصر، وموطن زوجها المنتظر، فمن المفترض أن تظل بعيدا عن هذه الفوضى العاطفية .

١١ - لغة الكاتب قطعة من عقله، وتبرهن على تمكنه من الأساليب العربية، وامتلاكه لناصية البيان والفصاحة ، وقد اتكأ فى رسم صوره على الحقيقة أحيانا والمجاز والتشخيص والتشبيه فى أحيان أخرى، مع خيال قوى يدل على قوة صاحبه، وحسن توظيفه للغة، وجمال صياغته، وروعة ترتيبه للأحداث والشخصيات والعقدة والحل فى القصة .

١٢ - وأخيرا يحرص الكاتب على الخروج من القصة بثلاثة أشياء: الحب .. والطبيعة .. والحياة.. وترتيبها ـ من جهته ـ مقصود. فالحب موافق للطبيعة السوية التى تنكر الضغائن؛ ولذا قدمه عليها وجاء بالحياة بعد ذلك؛ لأن المعنى الحقيقى لها. والاستمتاع الراقى فيها لا يتم إلا بالحب والطبيعة .

والعجيب أن هذه الأمور الثلاثة تتماشى مع مضمون القصة كلها؛ لأن الفاتحين الذين نشروا الإسلام فى مصر وغيرها، قاموا بذلك بدافع من الحب بكل معانيه وحافظوا على الطبيعة الإنسانية، والكونية، والنباتية، وكانوا ينشدون الحياة بأتراحها وأفراحها بمنهج الدين الذى ارتضاه الله تعالى للبشرية كلها .

ونظرة الكاتب إلى: الحب، والطبيعة، والحياة تتعانق تماما مع: الحق ، والخير، والجمال، وهى غاية الفنون جميعهـا. وجـزى الله أدباءنا القدامى والمحدثين خير الجزاء على هذا الأريج البيانى، والله أسأل أن ينفعنا بالعلم وأن يتجاوز عن تقصيرنا .

"والله يقول الحق وهو يهدى السبيل"

الباحث

محتويات البحث

الموضوع

* نشأة الرافعى ومكانته الأدبية.
* **الفصل الأول**: عرض لمضمون قصة (اليمامتان).
* **أولا**: نوع القصة وزمانها.
* **ثانيا**: الأماكن التى وردت فيها.
* **ثالثا**: الشخصيات التى وردت فيها.
* **رابعا**: أسلوب القصة.
* **خامسا**: أحداث القصة.
* **الفصل الثانى**: التناول الفنى والنقدى للقصة.
* **أولا**: الدلالة الفنية لعنوان القصة.
* **ثانيا**: الشخصيات والأحداث فى القصة.
* ١ - أدوار البطولة فى القصة.
* ٢ - الأدوار الثانوية.
* **ثالثا**: العقدة والحل فى القصة.
* **رابعا**: الأسلوب فى القصة.
* من معالم أسلوب الرافعى.
* الخاتمة.
* المصادر والمراجع.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الأسلوب أ/ أحمد الشايب ـ ط السابعة ـ النهضة المصرية سنة ١٩٧٦م.
- الأعلام للزركلى . ط دار العلم للملايين . بيروت الطبعة الخامسة سنة ١٩٨٠م.
- اتجاهات وآراء فى النقد الحديث د/ محمد نايل ط. العاصمة . بالقاهرة . د.ت.
- التاريخ الإسلامى أ/ محمود شاكر ط السابعة . المكتب الإسلامى . بيروت سنة ١٩٩١م.
- التوجيه الأدبى د/ طه حسين وآخرون . ط دار الكتاب العربى بمصر سنة ١٩٥٤م.
- تطور الأدب الحديث فى مصر د/ أحمد هيكل ط الرابعة . دار المعارف بمصر سنة ١٩٨٣م.
- تطور فن القصة القصيرة فى مصر د/ سيد حامد النساج . ط الثالثة . دار المعارف سنة ١٩٨٤م.
- رياض الصالحين للإمام النووى ط. الحادية عشرة. دار عالم الكتب بالرياض سنة ١٩٨٩م.
- الرافعى ومى / عبدالسلام هاشم . ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى . د.ت.
- العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف . ط العاشرة . دار المعارف سنة ١٩٨٦م.
- العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبى، د/ محمد فكرى الجزار ط الثانية ـ الهيئة العامة للكتاب سنة ٢٠٠٦م.

- فى النقد الأدبى الحديث د/ محمد أحمد سلامة ط. الأولى دار الطباعة المحمدية . القاهرة سنة ١٩٨٨م.
- فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف . ط السابعة دار المعارف سنة ١٩٨٨م.
- القصة القصيرة فى مصر منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٠م ـ عباس خضر ـ ط الدار القومية للطباعة والنشر سنة ١٩٦٦م.
- قضايا النقد الأدبى الحديث د/ محمد السعدى فرهود ـ ط:الثانية ـ دار الطباعة المحمدية سنة ١٩٧٩م.
- لسان العرب لابن منظور . ط دار المعارف د.ت .
- مجلة الأدب الإسلامى العددان ٤٣، ٤٤ عددان خاصان بالرافعى سنة ٢٠٠٤م.
- مختار الصحاح للإمام الرازى ط. الثانية . المكتبة العصرية . بيروت سنة ١٩٩٦م.
- مصطفى صادق الرافعى أديبا إسلاميا . د/إبراهيم عوضين . ط الأولى دار السعادة سنة ١٩٩٠م.
- مصطفى صادق الرافعى والاتجاهات الإسلامية فى أدبه د/على عبدالحليم محمود. ط الثانية ـ دار عكاظ بجدة سنة ١٩٨٢م.
- معالم الثقافة الإسلامية د/عبدالكريم عثمان . ط. الثانية عشرة . مؤسسة الرسالة . بيروت سنة ١٩٨٥م.
- النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال . ط دار نهضة مصر . د.ت.
- وحى القلم الجزء الأول . مصطفى صادق الرافعى . ط بيروت سنة ١٩٠٣م.

والحمد لله أولا وآخرا